النشـــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٨ / ٢٠٠١

الأحد ٢٥ شباط

أحد مرفع الجبن

تذكار أبينا الجليل في القديسين

طارسيوس رئيس أساقفة

القسطنطينية

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الثالث

الــرســالــة (رومية ١٣ : ١١ ١٤ ؛ ١٤: ١-٤)

الإنــجــيــل (متى ٦ : ١٤-٢١)

+ دستور الإيمان

سر الفداء

«لأن المسيح إذ كنا بعدُ ضعفاء مات في الوقت المعيَّن لأجل الفجار. فإنــــه بالجــهد يموت أحد لأجل بار، ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضًا أن يموت. ولكن الله بيَّن محبته لنــا لأنه ونحن بعد خطأة مات المسيح لأجلنا، فبالأولى كثيرًا ونحن متبرّرون الآن بدمه نخلص به من الغضب، لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيرًا ونحــــن

مصالَحون نخلص بحياته. وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضًا بالله بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة» (رو٥: ٦-١١).

تشدّد الكنيسة مع الرسول بولس على ان هدف عمل المسيح الخلاصي هو مصالحة الإنسان مع الله لأننا، بموت يسوع، قد صولحنا مع الله و«الكل قد صار جديدًا... أي ان الله كان في المسيح مصالحًا العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعًا فينا كلمة المصالحة» (٢كور ٥: ١٧و١٩). لقد محا يسوع خطايا البشر عندما أخذ خطيئتنا على ذاته بالصليب «لأنه جعل الذي لم يعرف خطيئة خطيئة لأجلنا لنصير نحن برَّ الله فيه» (٢كور ٥: ٢١). احتمل على الصليب كل نتائج الخطيئة، بما فيها الموت، حبًّا بنا: «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر» (١بط ٢: ٢٤).

يسوع هو «حَمَلُ الله الذي يرفع خطيئة العالم» (يو١: ٢٩)، وهو الكاهن الأعظم الذي يقرّب الذبيحة الأكمل التي تطهّر الإنسان من كل إثم وتمحو كل خطيئة. يقدّم، ككاهن أعظم، حياته لله على الصليب كفارة لخطايانا «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروحٍ أزلي قدّم نفسه لله، بلا عيب، يطهّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي» (عبر ٩: ١٤).

إذًا يسوع قد محا، بحسب الكتاب المقدَّس، خطايا البشر والعالم، عبر تقديم حياته، جسده ودمه، الذي هو دم الله (أعمال ٢٠: ٢٨)، على الصليب. قدّم ذاته «كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضًا» (١يو ٢: ٢). لقد دفع دمه ثمنًا لخلاصنا: «لأنكم قد اشتُريتم بثمنٍ. فمجدوا الله في أجسادكم... قد اشتُريتم بثمنٍ فلا تصيروا عبيدًا للناس» (١كور ٦: ٢٠؛ ٧: ٢٣).

السؤال الذي يُطرح: لمن دفع يسوع الثمن ومن قبض الفدية كفارة عن خطايانا؟ إنه السؤال نفسه الذي طرحه القديس غريغوريوس النزينزي اللاهوتي في القرن الرابع في عظته الثانية الفصحية. سأل: «لمن قدّم ذاك الدم المهراق لأجلنا»؟ تساؤل القديس غريغوريوس كان في معرض الحوارات الكثيرة التي نشأت في الكنيسة في ذلك العصر إذ وُجد من يقول ان يسوع دفع الفدية للشيطان، نتيجة الظن بأن للشيطان «حقوقًا» على الإنسان وعلى العالم بسبب الخطيئة، لأن الإنسان باع نفسه للشيطان عندما تمرّد على الله. المسيح، برأيهم، أتى ليدفع الدين للشيطان لكي يحرّر الإنسان من سلطته، عبر التضحية بنفسه على الصليب. هذا الرأي رفضته الكنيسة لأن قبوله يعني خضوع الله للشيطان، وهذا غير مقبول. «كأن السارق يحصل على مكافأة» حسب تعبير القديس غريغوريوس النزينزي.

رفضت الكنيسة أيضًا مقولة ان يسوع دفع الفدية لله. فقد وُجد في تاريخ الكنيسة من قال ان يسوع قد قدّم نفسه ذبيحة للآب لكي يسكت غضب الله على الجنس البشري، لأن

الإنسان قد أهان الله بخطيئته وكسر الشريعة والبِّر، وصار عليه (أي الإنسان) أن يدفع جزية عن خطيئته. وهم يرون أيضًا انه لا يوجد أي عقاب بشري يستطيع أن يرضي عدل الله، لأن عدل الله إلهي. لذلك كان على ابن الله أن يولد في العالم وينال العقاب الحقيقي المفروض على الإنسان فيرضي الغضب الإلهي. وكأن المسيح وضع نفسه مكاننا ومات لأجل خطايانا. القديس غريغوريوس النزينزي تساءل كيف يمكن للآب أن يقبل ذبيحة ابنه وهو الذي رفض أن يذبح إبراهيم ابنه إسحق في القديم (تك٢٢). وكيف يُسر الله بقتل ابنه؟

يمكننا القول ان الكلمات «فدية» و«دفع» و«ثمن» و«كفارة»، تُفهم في اللاهوت الأرثوذكسي بالمعنى المجازي. إنها كلمات تُستعمل للقول ان المسيح فعل كل شيء ضروري ليخلّص الجنس البشري ويفتديه بعد أن كان مستعبدًا للشيطان والخطيئة وواقعًا تحت غضب الله. «اشترانا بثمن» ليس بالمعنى الحقوقي أو الإستهلاكي الإقتصادي. فهو لم «يدفع» لله الآب لكي يرضيه لأنه غاضب بل قدّم نفسه للحقيقة بحد ذاتها. «دفع الثمن» ليخلق الأجواء التي يمكن للإنسان أن ينال عبرها غفران الخطايا والحياة الأبدية عبر الموت والقيامة مع يسوع إلى حياة جديدة (رومية ٥). الذبيحة تعني ضمناً آلام المسيح وموته ومن خلالهما شفاء طبيعتنا البشرية وتحريرها وتقديسها وتخليصها وتأليهها. لقد شفى طبيعتنا عندما أهرق دمه ذبيحة لأجلنا، «لأن كل شيء تقريبًا يتطهّر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (عبر ٩: ٢٢). سر ذبيحة الصليب انها كانت ذبيحة محبة لا متناهية، ولذلك كانت فاعلة. لو لم يسفك المسيح دمه لما حصلت ذبيحة وبالتالي لما حصل الخلاص. وهكذا هيأ لنا يسوع الأجواء التي عبرها يمكن أن يقبلنا الآب من جديد، لأن الله عندما ينظر إلينا، فهو ينظر من خلال يسوع المصلوب المهان والمنسحق، الذي «أفاض للموت نفسه وأُحصي مع العصاة وهو حمل خطايا كثيرين وشفع في العصاة» (اش ٥٣: ١٢). الله صالح البشر الخطأة وغفر خطاياهم وبرّرهم من خلال شخص الإبن الوحيد الذي وحّد ذاته معهم. وبمقدار ما يحيا الإنسان الفداء أو الذبيحة التي قدّمها يسوع على الصليب، ينال غفران الخطايا. بمقدار ما نحمل صليب يسوع ونطبق الوصايا، نحصل على القيامة وننال الغفران.

+ بدء الصوم الكبير المقدَّس

يبدأ الصوم الأربعيني المقدَّس يوم غد، وكثيرة هي النظريات القائلة بالصوم أو بعدمه. فالبعضُ يصوم لأن الصوم نافعٌ كحمية للجسم، والبعضُ الآخر يتعلل بأن الطعام

والشراب نعمة من الرب، فكيف نمتنع عنهما؟ والمعتدل بينهم يتكلَّم عن «الإماتة»، أي عن حرمان النفس، في فترة الصوم، من الأشياء التي يحبها.

للمعتدلين نقول ان الصوم لا يعني بتاتًا «إماتة». فالله لا يريدنا أن نميت رغباتنا وأهواءنا، لأنها نعمة من لدنه، بل أن نحولها ونروضها للخير، تمامًا كما نروض الحصان البري ليصبح أليفًا. فالله قد خلق الإنسان بأهواء ورغبات حسنة، وقد أعطاها الله له ليس من أجل الشر بل الخير. فالشهوة الجنسيَّة مثلاً ليست للزنى بل لإنجاب الأولاد ومشاركة الله في الخلق، وللتعبير جسديًا عن الوحدة بين الزوجين لأن الإنسان مخلوقٌ على صورة الله ومثاله. وحب الطعام ليس للشراهة بل للتغذية. والغضب للثورة على الشر لا لأذية الآخرين. كذلك النوم للراحة وليس للتراخي إلخ... إذًا لا أهواء شريرة في الإنسان حتى يُميت إحداها في الصوم، لأننا نحن من نحول الخواص الطبيعية، أي ما منحنا إياه الرب في الخلق، إلى أهواء، حينئذٍ تصبح «أهواءًا معيبة»، وهي: الشراهة، وحب اللذة (الزنى)، وحب المال (حب القنية)، والغضب، والحزن، والكسل (الضجر)، وحب الظهور (العجب) والكبرياء.

أما للآخرين فنقول إنَّ الصوم هو استعادة للحياة الفردوسية، حيث كان الإنسان يحيا بإلفة مع الله والإنسان نظيره: «هذه الآن عظمٌ من عظامي ولحمٌ من لحمي» (تكوين ٢٣: ٢)، ومع الطبيعة لأن آدم كان يعمل في الأرض ويحفظها. وقد سمَّى الحيوانات بأسمائها (راجع تكوين ٢: ١٥-٢٠)، حتى أنه كان يأكل من ثمار البرية فقط (تكوين ٢: ١٦). وبعد الطوفان، سمح الله للإنسان بأن يذبح ويأكل، وذلك كنتيجة طبيعيَّة للخطيئة التي تمرَّغ فيها الإنسان بعيدًا عن الله (راجع تكوين ٩: ١-٤). أي انه بالإمتناع عن أكل الحيوان يحاول الإنسان أن يحيا، ولو لفترة خمسين يومًا، حياة الفردوس قبل السقوط. ولهذا تُقيم الكنيسة في أحد مرفع الجبن تذكار طرد آدم من الفردوس.

الصوم أيضًا هو الامتناع عن بعض الأطعمة والمشرب لكي نوفر ثمنها، ونحول المال للمحتاج. ألم يوصي الرب بالفقير واليتيم والأرملة، مساويًا إياهم بذاته. وكما أن تحضير الطعام في الأيام العادية يتطلَّب وقتًا وجهدًا، لذا فلنحوِّل الوقت للتفرُّغ للصلاةِ والقراءاتِ الروحية وغرف الطعام الروحي الحقيقي والمحيي، أي كلمة الله في الكتاب الإلهي، الكتاب المقدس. ولنحول الجهد جهاداً في طريق الكمال، لنصل إلى الهدف المنشود، إلى القيامة المحيية. فالصوم وسيلة وليس غاية، إذ إنه يساعد الإنسانُ على التخلِّي عن متطلبات الجسد، ليهتم بما يوافق الروح. لأنه إذا كان الجسد قويًا تضعف الروح. أمَّا إذا كان الجسد مصقولاً فتقوى الروح. الروحُ قوية عندما نتعالى على الجسد، (دون منح الجسد كل رغباته). فقوة الإنسان الكاملة تكمن بالتوجه الكامل، جسدًا وروحًا، نحو الله من خلال الحديث الدائم معه.

والصلاة هي الدواء، لأن الصلاة إلى جانب الصوم تُشكل رادعًا للإنسان وقوَّة لـــه لاحتمـــال التجارب وتجاوز ميول الجسد. فالصوم دون صلاةٍ فارغ ولا حياة فيه.

نقرأ في الكتاب المقدس، في العهد القديم، أن موسى النبي سكن البرية في جبل ســيناء أربعين يومًا عاشها في الصوم والصلاة حتى تلقى الشريعة. والرب يسوع المسيح، وهــو رب الشريعة ومُعطيها، صام أربعين يومًا وأربعين ليلة في الجبل قبل بدء بشارته (متى ٤). هكــذا نحن أيضًا الذين شابهنا المسيح المخلص في كل شيء ما عدا الخطيئة، ألا يليق بنا أن نشــابهه في الصوم لنتعلَّم أنه «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخـــرج مـــن فـــم الله»؟ فالصوم والصلاة تؤهلانا لاكتساب التعاليم الإلهية لنقدمها حياةً ونوراً للعالم ليعرف الجميعُ أننا تلاميذ الرب. وهكذا ندخلُ في الجيلِ الجديد، جيل المسيح الإله، جيل ملكوت السموات، آمين.

+ تأمل

قال الراعي: انكم يا عبيد الله تعرفون انكم تقطنون أرضًا غريبة وان وطنكم بعيد جدًا وليس ههنا . لماذا تقتنون الحقول الواسعة والعمارات الكبيرة والقصور والأبنية والبيـــوت مـــا دمتم تعرفون ان المدينة التي ستستوطنونها ليست هنا؟ من يهيء نفسه لهذه الحيـــاة يصعـــب عليه أن يعود إلى مدينته الحقيقية. ألا تعرف أيها الشاك الشقي الجاهل ان الأشياء التـــي هنـــا كلها غريبة عنك وان غيرك يتسلّط عليها؟ سيقول لك سيد هذه المدينة لا أريدك أن تكون مـــن مواطني مدينتي. اخرج منها ما دمت لا تدين بنواميسي. ماذا تفعل أيها المالك للحقول الواسعة والعمارات الكبيرة والثروة الضخمة بحقولك وعماراتك وثروتك إذا طـــردك ســـيد المدينـــة؟ سيقول لك سيد المدينة بحق، ان مدينتي هي لك إذا حافظت على شريعتي. أما إذا رفضت فإن أبوابها مقفلة في وجهك. ماذا ستفعل يا صاحب الناموس الإلهي، أتنكر ناموسك الحقيقي لتتبـــع ناموس المدينة هنا؟ إحذر لئلا يقودك تنكرك لناموسك الحقيقي، فـــأبواب مدينتـــك الحقيقيـــة ستكون موصدة الأبواب في وجهك. إحذر ان تقتني أكثر مما أنت بحاجة إليه وأنت فـــي أرض غريبة وكن مستعدًا للساعة التي سيطردك فيها سيد البلاد لعدم طاعتك لشريعة مملكته، حتـــى إذا ما ذهبت إلى مدينتك تكون فرح القلب لا تأسف على شيء. إنتبهوا يا معشر عبيد الله، أنتم من جعلتم الله في قلوبكم وأتممتم أعمال الله متذكرين وصاياه والوعود التي أوصاكم ووعدكـــم بها، ثقوا به وتأكدوا انه سيحقق مواعيده إذا حافظتم على وصاياه. اشتروا الأرواح المعذبـــة بدلاً من الأبنية، زوروا الأرامل والأيتام ولا تحتقروهم. هذه هـــي الأرض التـــي يجـــب أن تصرفوا من أجلها أموالكم والكنوز التي أعطاها الرب لكم. لم يعطكم الله الثروة إلا لتنفقوهـــا في هذا السبيل. الأفضل لكم أن تشتروا الحقول والعمارات والممتلكات التي ســـتجدونها عنـــد

رحيلكم إلى وطنكم الحقيقي. هذا هو الغنى الجميل المقدس الذي لا يسبب لا الغم ولا الأحزان. إنه لا يسبب إلا الفرح. لا يغرنكم غنى الوثنيين. إنه غنى يسبّب لكم الويلات ويحمل إليكم المصائب. اجمعوا الثروة التي تناسبكم، الثروة التي تهب لكم الغنى. تجنبوا الاغتصاب واحذروا أن تشتهوا شيئًا يخص الآخرين. شر هو اشتهاء ما للغير. اعمل عملك فتخلص.

هرماس الراعي

+ محاضرات

بمناسبة الصوم الأربعيني المقدَّس تنظم رعية كنيسة القديس نيقولاوس ــ الأشرفية سلسلة محاضرات تُقام في الكنيسة كل يوم ثلاثاء من أسابيع الصوم المبارك تبدأ بصلاة النوم الكبرى في تمام الساعة السادسة مساءً وحسب الترتيب التالي:

+ الثلاثاء في ٢٧ شباط ٢٠٠١:

الموضوع: «سر الشكر ــ القداس الإلهي» لسيادة المتروبوليت الياس (عوده)

+ الثلاثاء في ٦ آذار ٢٠٠١:

الموضوع: «العفة والزنى» لقدس الاشمندريت توما بيطار

+ الثلاثاء في ١٣ آذار ٢٠٠١:

الموضوع: «العولمة وتحديات الألفية الثالثة» لقدس الإيكونوموس جورج (ديماس)

+ الثلاثاء في ٢٠ آذار ٢٠٠١:

الموضوع: «ماذا تتوقع كنيستنا منا وكيف نستطيع أن نندمج في المجتمع الحالي الذي نعيش» لقدس الارشمندريت افرام (كرياكوس)

+ الثلاثاء في ٢٧ آذار ٢٠٠١:

الموضوع: «يسوع المسيح هو أمس واليوم وإلى الأبد» لسيادة المطران بولس (بندلي)

+ الثلاثاء في ٣ نيسان ٢٠٠١:

الموضوع: «تابع القداس الإلهي مع حديث» لسيادة المتروبوليت الياس